الخائن

تأليف
د / حسام العقاد

رسوم
محمود الأعصر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ارتفع صوت المؤذن، فترك العالم زهران أدواته، وغادر معمله ليصلى العشاء فى المسجد، وفى طريقه وجد طفلا صغيرًا يجلس مستندًا بظهره على الحائط ويبكى، اقترب منه، وانحنى عليه ليضع كفه على كتفه فى حنان، ويسأله:

- لماذا تبكى يابنى؟

رفع الطفل رأسه، ونظر إلى زهران بعينين ملؤهما الدموع ثم قال فى صوت حزين:

- أنا طفل يتيم، كنت أعمل عند رجل صالح، ولكنه سافر فطردنى ابنه، ولا أدرى أين أذهب الأن.

وارتفع بكاء الطفل، فرق قلب زهران، وقال:

- تعال معى يابنى.. ما اسمك؟

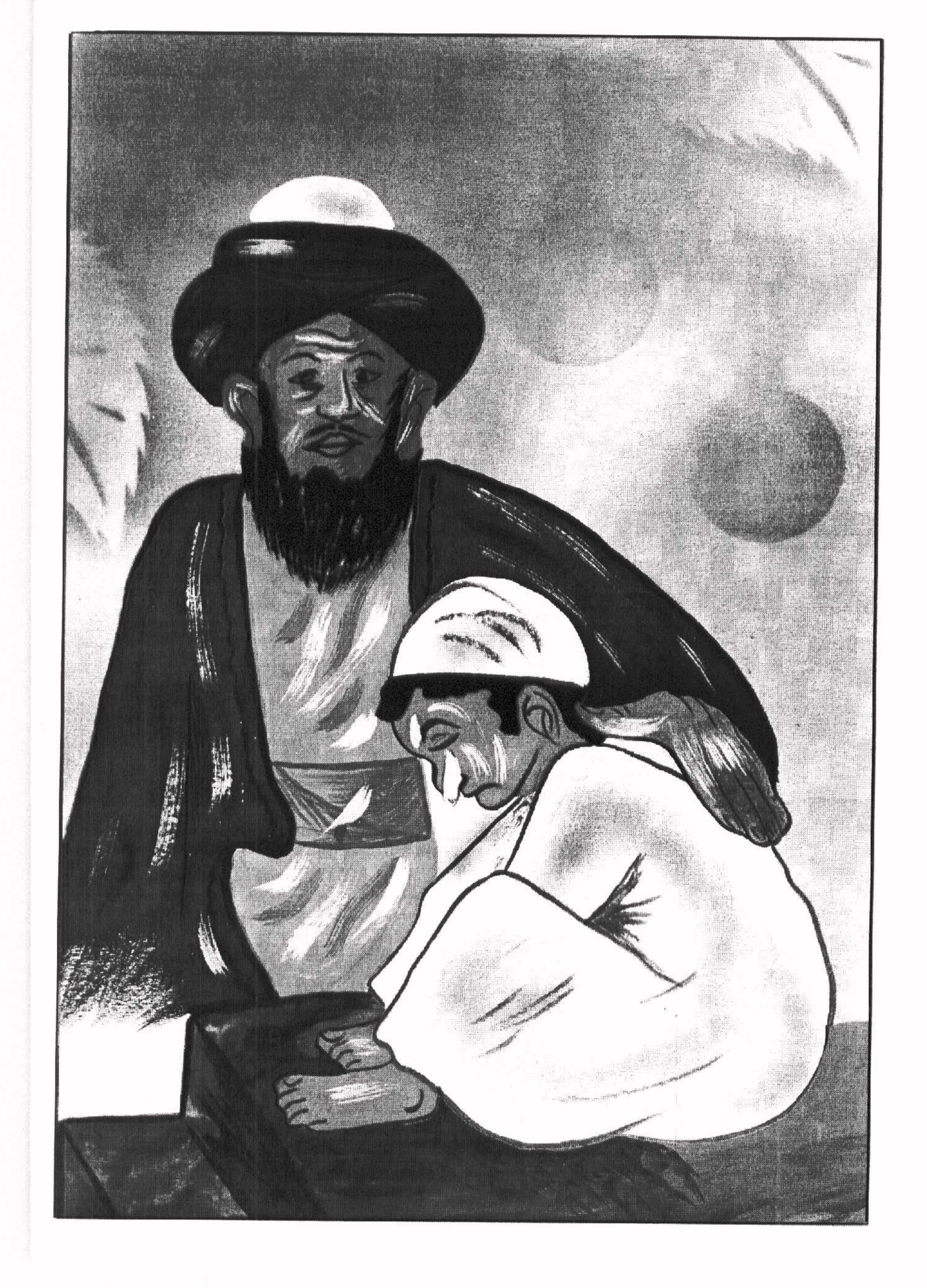
- على.

- هيا بنا ياعلى.

وأمسك يده، ونظر إليه مشجعا، فنهض على، وتوجها معا إلى المسجد، وقال زهران وهو يدخل المسجد: - « **بسم الله**

---

(١) دعاء دخول المسجد. **حديث صحيح**: أخرجه مسلم، وأبو داود والنسائى.
أما دعاء الخروج من المسجد فهو: « **اللهم إنى أسألك من فضلك**». وتخرج بالقدم اليسرى. **حديث صحيح** أخرجه مسلم وأبو داود.



والسلام على رسول الله، اللهم افتح لى أبواب رحمتك»[1].

وبعد الصلاة، توجها إلى معمل زهران، الملىء بالأدوات والأجهزة المعملية، وقال زهران لعلى:

- أنا رجل وحيد، أعيش بمفردى، سأجعلك تعيش معى، مثل ابنى تماما، لتساعدنى فى عملى، وتدرس وتتعلم حتى تصبح رجلا قويا.

ابتسم على قائلا فى سعادة:

- بارك الله فيك.. وجزاك خيرا.

أشار زهران بسبابته، وقال محذرا:

- ولكن احذر، أنا مخترع، وكل شىء تراه هنا هو سر خاص بى وحدى، لا تبح به أبدا، ولاتخن الأمانة، وإلا تعرضت لعقاب شديد، أفهمت؟

قال على فى إيمان:

- المسلم لا يفشى السر، ولايخن الأمانة أبدا.

زاد إعجاب زهران بالطفل، وبدأ يحبه، وصار يعلمه، ومرت الأيام، وعلى يتلقى العلم، ويذاكر ويساعد زهران فى اختراعاته، واستطاع أن يكسب حب زهران بأخلاقه الحسنة وصفاته الطيبة، حتى أصبح يعامله كأنه ابنه تماما.

وكان على طفلا ذكيا فشعر زهران أنه ينتظره مستقبلا باهرًا إذا حرص على العلم..



وذات يوم نادى زهران عليا، وقال له فى بشر:

- الحمد لله.. انتهيت من اختراعى الجديد.. الذى سأقدمه للمسئولين غدا.

هلل على قائلا ًفى سعادة:

- الله أكبر.. أنت مخترع عظيم يا أستاذ زهرن..

وفجأة دخل رجل المعمل، وقال وهو يبتسم مهنئًا:

- بارك الله لك يازهران.

وكان الرجل هو لطفى، صديق زهران، الذى لم تبد عليه السعادة لرؤيته، بل نظر إليه معاتبًا، وقال:

- ألن تكف عن هذه العادة السيئة يالطفى؟

سأله لطفى مندهشا: أى عادة؟

أجاب زهران فى غضب: دخول معملى بغير استئذان.

أطرق لطفى برأسه فى خجل، فقال زهران:

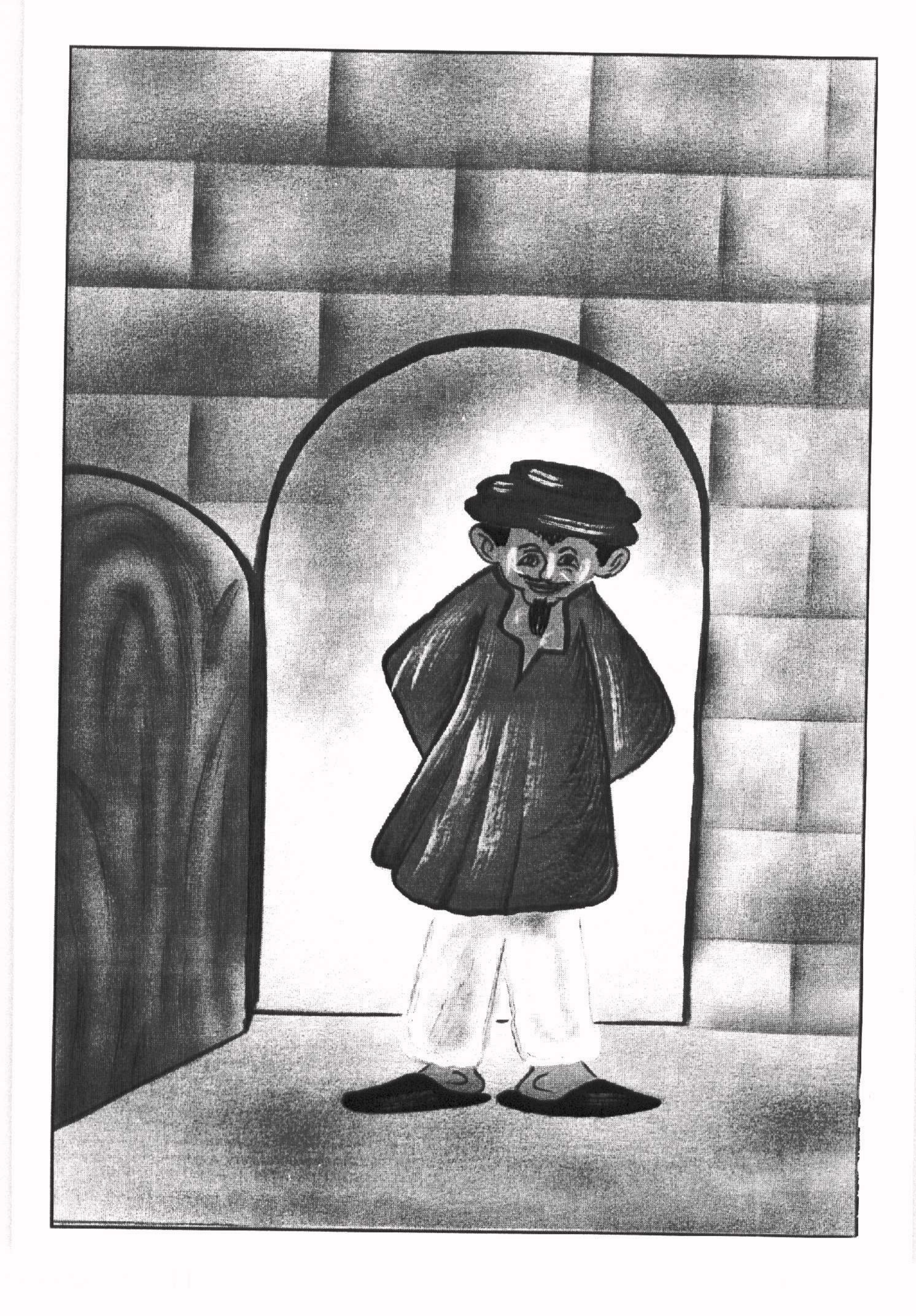
- لقد علمنا النبى ﷺ آداب الاستئذان.

همّ لطفى أن يتكلم، ولكن زهران أشار له أن ينتظر، ثم دعاه للجلوس، وجلس على بجواره، وقال:

- قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**﴾[1].

---

(١) سورة النور: الآية: ٢٧.



وهذه الآية الكريمة تعلمنا أن من آداب دخول المنازل أن يستأذن المسلم أولا، ثم يسلم على أهل المنزل. وعندما يذهب المسلم لزيارة صديق له، لابد أن يراعى أمرا هاما.

سأله على فى اهتمام: ماهو؟

أجاب زهران: ألا يقف فى مواجهة باب المنزل، بل يقف على بعد مناسب، متخذًا الركن الأيمن أو الأيسر، حتى لايبصر ما بداخل المنزل عندما ينفتح الباب.

قال أحد الصحابة: « **كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب بتلقاء وجهه، ولكن عن ركنه الأيمن أو الأيسر، يقول السلام عليكم**»[1].

وللاستئذان أصول هامة.

سأله لطفى: ماهى؟

أجاب زهران: أن يستأذن بقوله: السلام عليكم، أأدخل.

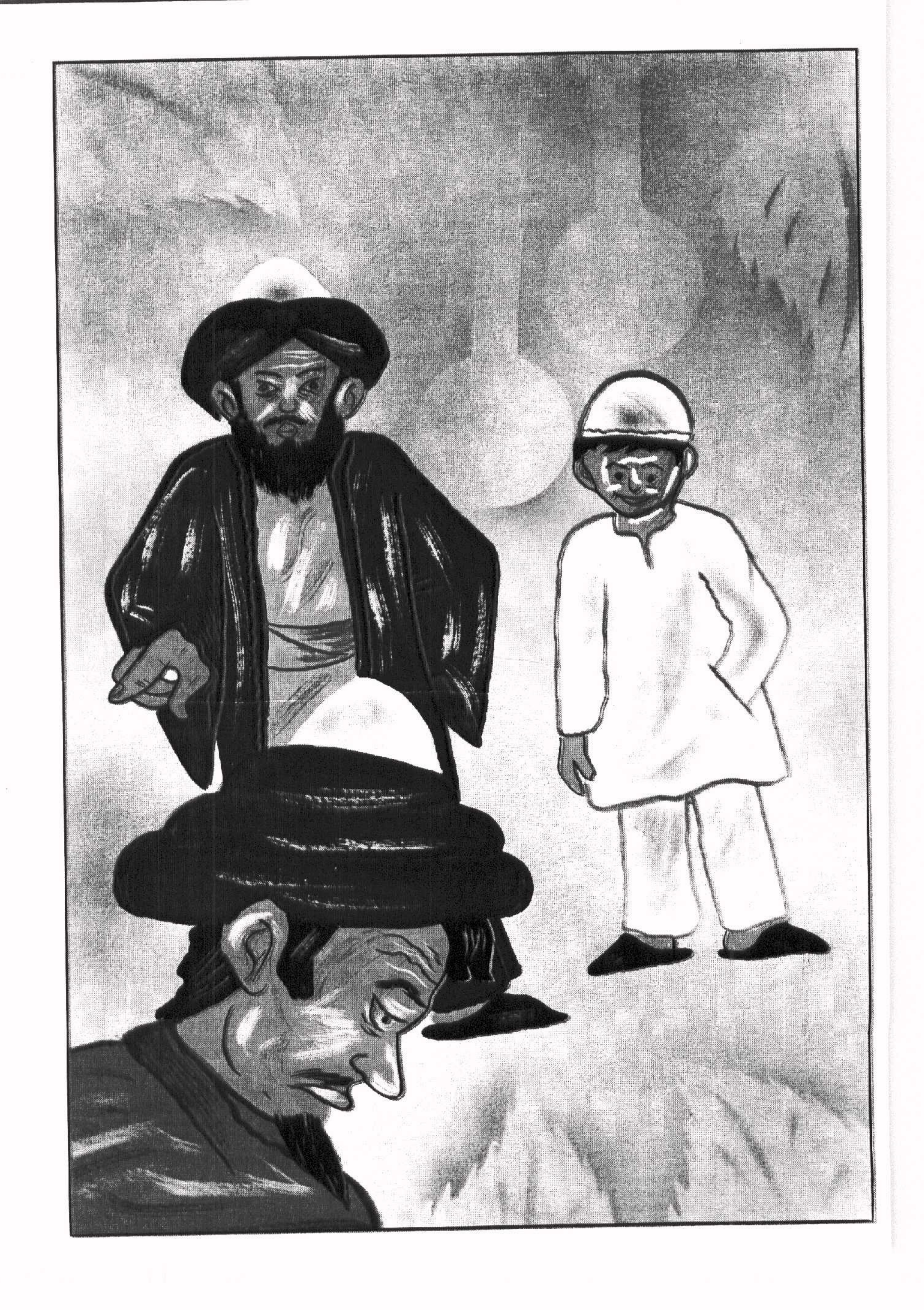
فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أألج: (أأدخل)، فقال النبى للجارية: «**اخرجى فقولى له، قل: السلام عليكم أأدخل، فإنه لم يحسن الاستئذان**»[2].

قال على: لابد أن نحرص على هذه الصيغة فى

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٥١٦٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٥١٥٥).



الاستئذان، وهى السلام عليكم أأدخل.

أحنى زهران رأسه إيجابا، وقال:

- تماما، ومن أداب الاستئذان أيضا، إذا طرقنا بابا، وسمعنا صوتا يسأل عن الطارق، لا نجب بقولنا: أنا، فهذه إجابة مكروهة، بل نقول: أنا فلان، ونذكر اسمنا حتى يعرفنا صاحب المنزل.

لقد كره النبى ﷺ هذه الإجابة، عندما قالها أحد الصحابة، فقد أتى رجل النبى ﷺ ليرد له دينا عليه، فدفع الباب، وسمع صوت النبى ﷺ يسأل: «**من ذا؟**» قال: أنا فقال النبى ﷺ: «**أنا أنا!! مرتين كأنه كرهه**»(١).

قال لطفى: إذن لا يجب أن نجيب بقول أنا أبدا، بل نذكر الاسم حتى يتعرف علينا صاحب المنزل.

قال زهران: والمسلم يستأذن ثلاث مرات، فإذا سمح له بالدخول فليدخل، وإذا لم يسمح له بالدخول، فليرجع.

قال تعالى: ﴿**فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم**﴾(٢).

قال لطفى مستنكرا: أيمكن أن يرفض المسلم زيارة صديق له ولا يأذن له بدخول منزله؟

(١) حديث صحيح: أخرجه البخارى (١١/٣٥).

(٢) سورة النور: الآية ٢٨.


منزل الحاكم

أجاب زهران: أجل، ربما كان مريضا، أو عنده ظروف خاصة تمنعه من استقبال صديقه، وفى هذه الحالة لابد أن يُقدِّر الزائر ظروف صديقه، فلا يحزن ولايغضب، بل يتقبل بصدر رحب، وعندما يود زيارة صديقه ليحصل على موعد أفضل ليكون جاهزا فى استقباله.

تساءل على: وإذا دخلنا بيوتا خالية، ماذا نقول؟

أجاب زهران: كان النبى ﷺ إذا دخل بيته فلم يجد فيه أحدا، يقول: « **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** ».

وكان إذا دخل مسجدا أو منزلا لغيره، ليس داخله أحد، يقول: « **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته** »[1].

فلنتعلم أن نستأذن كما علمنا الله سبحانه وتعالى، ونبيه ﷺ.

وفى صباح اليوم التالى ارتدى زهران ملابسه، ودخل معمله ليأخذ أوراق اختراعه، ولكنه لم يجدها، فتجهم وجهه، وانطلق الشرر من عينيه، وصاح: على.. على..

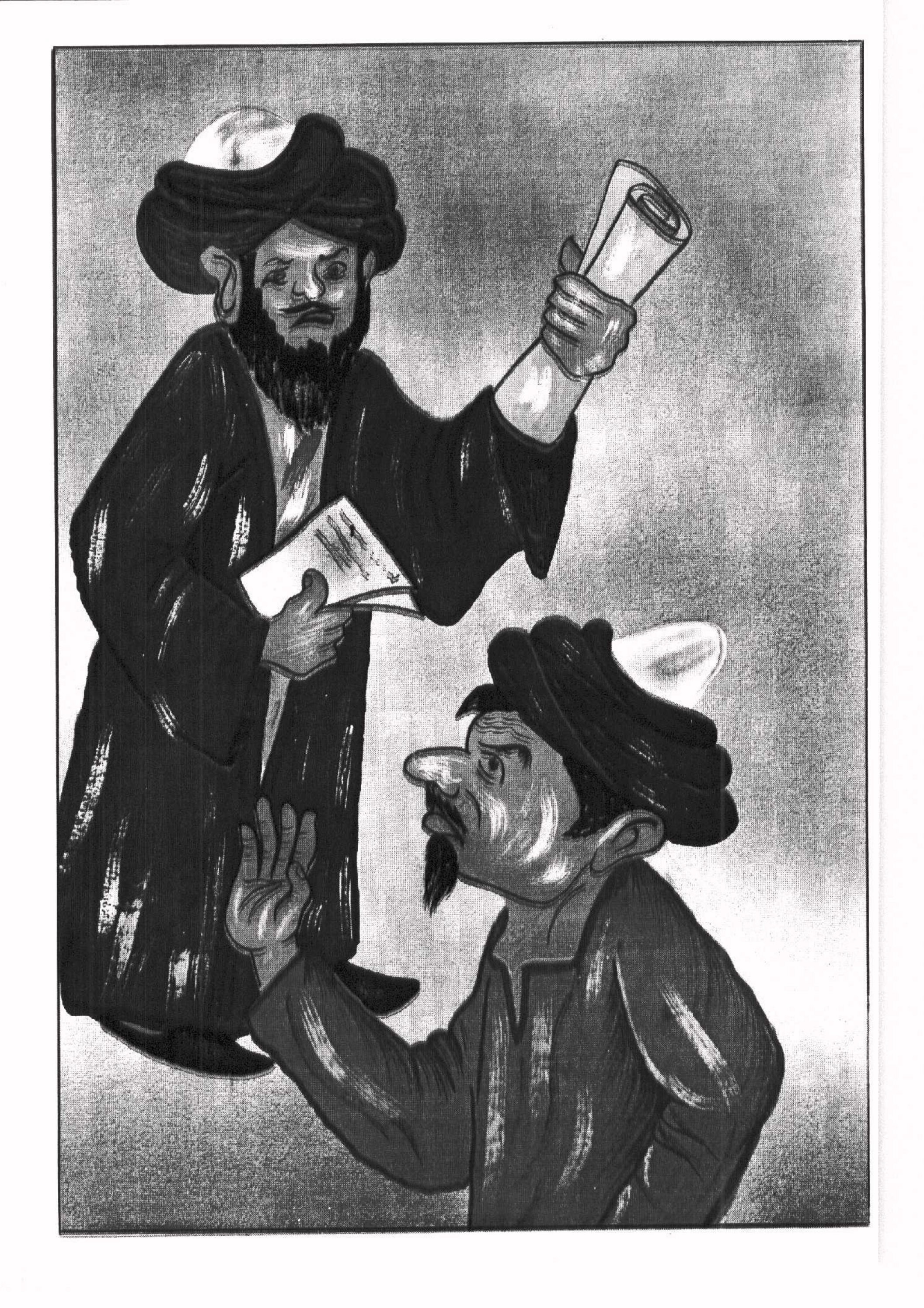
وأقبل على مهرولا، فصاح زهران: أين الأوراق؟

بحث عنها على فى أرجاء المعمل، ولم يجدها، فصرخ زهران ثائرًا:

ـ ألم أحذرك من الخيانة؟

---

(١) **حديث صحيح**: رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢/٥٢٥).



بكى على فى مرارة، وأقسم أنه لم يأخذ الأوراق، ولم يصدقه زهران، وأشار إلى باب المعمل، وصاح:

ـ اخرج.. ولا تعد إلا بها.. سأمهلك يوما.. ثم أبلغ الشرطة.

وغادر على المعمل وهو يبكى، أما زهران فقد ذهب إلى صديقه لطفى، الذى فوجىء به، فاضطرب، وقال متلعثما:

ـ زهران.. ما الذى جاء بك؟

قال زهران متعجبا: أهذه هى التحية التى تقدمها لى؟

ثم جلس فى إعياء، وقال: لقد سرق على الاختراع.

ولاحظ أن لطفى مرتبك حائر، كأنه يخفى سرًا، ونظر إلى حقيبة كبيرة، كان لطفى يضع ملابسه داخلها، وسأله:

ـ أكنت مسافرا؟ لماذا لم تخبرنى بالأمس؟

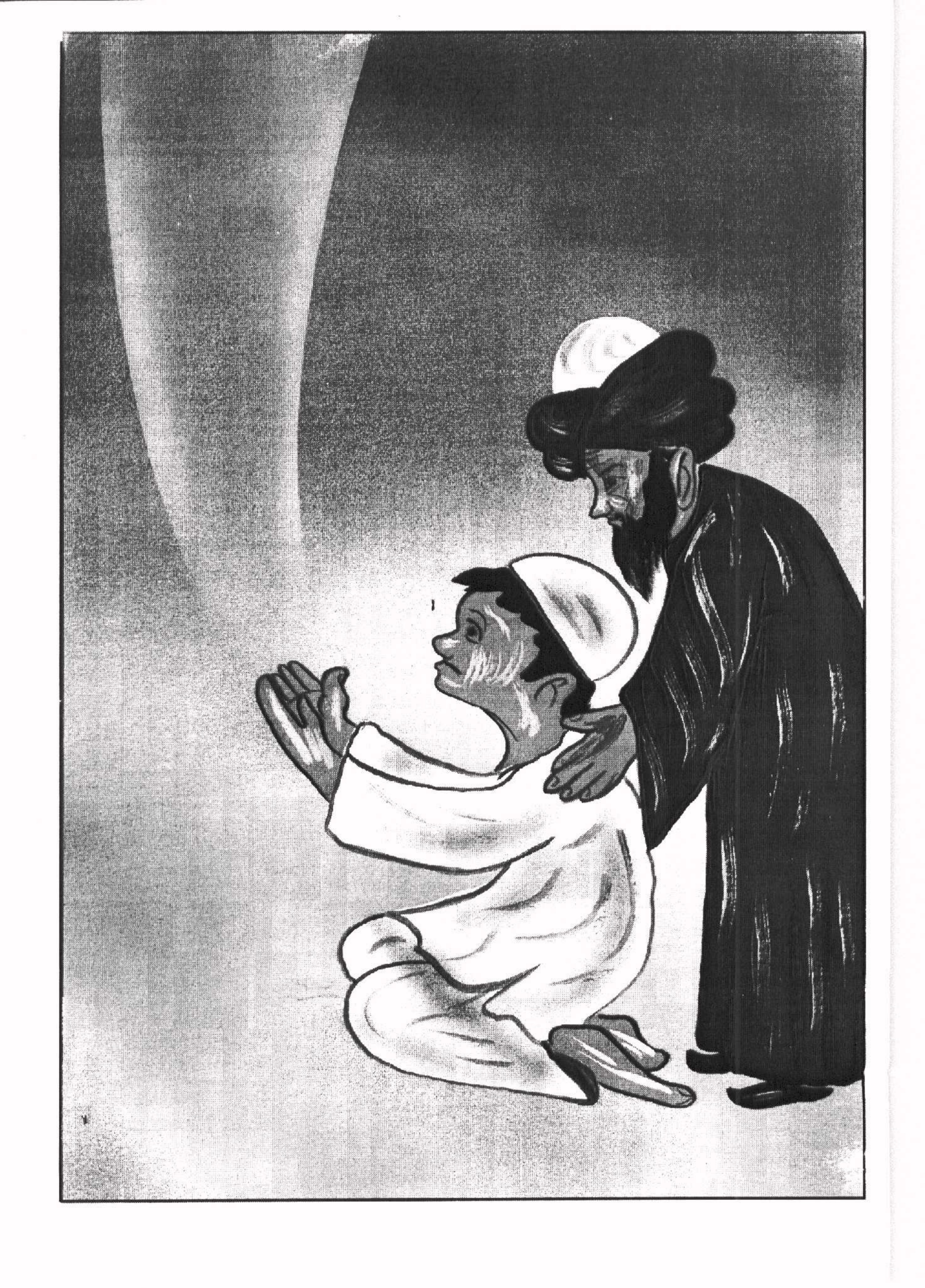
زاد ارتباك لطفى، وحاول أن يخفى شيئا داخل الحقيبة، فرآه زهران ولم يصدق عينيه..

صاح فى ذهول: إنها أوراقى؟ ماذا كنت تفعل بها؟.. أأنت الخائن يا لطفى؟

انهار لطفى، واعترف بجريمته قائلا:

ـ لقد عرضوا علىّ مبلغا كبيرًا مقابل الاختراع، فضعفت أمام إغراء النقود.

ـ لذلك كنت تقتحم معملى بدون استئذان حتى عرفت أنى أتممت الاختراع فسرقته أيها الخائن.



وأخذ أوراقه، فصاح لطفى: ـ أرجوك.. سامحنى..

ولكنه اتصل بالشرطة لتقبض عليه، وبدأ يبحث عن على، حتى اشتد به التعب، فدخل مسجدا، ولم يصدق عينيه عندما أبصر عليا، يدعو الله، فاقترب منه، وسمعه يقول فى خشوع:

ـ يارب .. أنت تعلم أنى برىء.. لست لصًا ولا خائنًا.. يارب أظهر براءتى..

سالت دمعة من عين زهران، واحتضن على وهو يقول:

ـ لقد اخطأت فى حقك يابنى.. سامحنى.. لم أعمل بقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن اثم**﴾(١).

ولم أتذكر قول النبى ﷺ: « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** »(٢).

لقد تعلمت ألا أتهم مخلوقا بدون دليل.. فسامحنى حتى يغفر الله لى.

احتضنه على وهو يقول:

ـ الحمد لله الذى أظهر براءتى.. وكشف مكر الخائن.

وعاد زهران إلى معمله، ومعه الطفل الأمين.

تمت بحمد الله.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٣٥٦٣).

رقم الإيداع ٨٧٩٥ / ٩٨